

سلسلة: إتحاف الحاضر والبادي بتفريغ أشرطة العلامة الشيخ محمد بن هادي (٤١)

تفريغ كلمة عبر الهاتف بعنوان:

«الثبات على الدين»

«موجهة للإخوة في فرنسا»

لفضيلة الشيخ العلامة

محمد بن هادي المدخلي - حفظه الله -

اعتناء

أبي قصي المدني

- عفا الله عنه وعن والديه ومشايخه والمسلمين أجمعين -

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة عبر الهاتف بعنوان: «الثبات على الدين»

لفضيلة الشيخ العلامة محمد بن هادي المدخلي - حفظه الله - (١)

مُقدِّم الكلمة: [الحمد لله رب العالمين، إله الأولين والآخرين، القائل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ٥٧ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ٥٨] [الذاريات: ٥٦-٥٨].

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وإمام المتقين، نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، الذين ثبتوا على الدين القويم، وعبدوا الله حتى آتاهم اليقين.

أما بعد:

فإنَّ الله - تعالى - خلقنا لعبادته، وأمرنا بطاعته، وترك معصيته، وجعل هذه الدار - الدنيا - دار ابتلاءٍ وامتحانٍ؛ ليطيِّر أهل الإيمان من أهل الكفران، وأهل الطاعة من أهل العصيان، فيجازي كل إنسان بما يستحق حسب عمله، قال تعالى: ﴿الْم ١ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ٣﴾ [العنكبوت: ١-٣]، وقال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ٣٥﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وفي هذا الزمان لقد تعددت الفتن وعظمت، فلا بد للمسلم من التمسك بدينه، والثبات عليه إذا أراد النجاة لنفسه والفوز بالجنة، وهذا الثبات له أسباب يجب على الإنسان معرفتها، والإتيان بها.

(١) ألقاها فضيلته عبر الهاتف للإخوة في فرنسا، بعد عشاء الأحد، ٣٠ رجب ١٤٤٢ هـ بالمدينة النبوية.

فيسرنا في هذه الليلة إجراء مكالمة هاتفية مع فضيلة شيخنا ووالدنا الشيخ محمد بن هادي

المدخلي - حفظه الله تعالى - ليتحفنا بما يسر الله له في هذا الموضوع المهم الذي يحتاج إليه كل إنسان، فليفضل مشكوراً مأجوراً - إن شاء الله تعالى - .

الشيخ: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله - معاشر الإخوة الكرام - في كل مكان ممن يستمع إلينا الآن في هذه اللحظات، فنقول: حيّا الله الجميع، ومرحباً بالجميع، ونسأل الله ﷻ أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح.

معاشر الأحبة: سمعتم مقدمة أخيكم أبي علي سليمان الفرنسي- في هذه الكلمات التي قالها؛ وهي تتعلق بموضوع مهم، وقد تكلم فيه الناس كثيراً، ولكن العبرة بكلام أهل العلم في هذا الباب الذي ينفع الله ﷻ به؛ وذلك لما في كلامهم من الخير والنفع، ولأنه مدعمٌ بالأدلة من كلام الله - جل وعلا - وكلام رسوله ﷺ، وهو أيضاً صادرٌ من العلماء الأعلام الذين جعلهم الله ﷻ نجوماً يهتدى بهم، بل جعلهم أقماراً -، وجمعناهم بسبب اختلاف الأزمنة والأمكنة وإلا فالقمر واحد-، فجعلهم الله - تبارك وتعالى - أقماراً يستضاء بها كما أخبر النبي ﷺ في قوله: «فُضِّلَ العالمُ على العابدِ كَفَضْلِ القَمَرِ ليلةَ البدرِ على سائرِ الكواكبِ»^(١)، وذلك لجماله في نفسه بالعلم والعمل الصالح، فحينئذ يكون مضيئاً لغيره، نافعاً لغيره، يهتدي به الناس بعد الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-.

فالعبرة بكلام هؤلاء العلماء الذين يهدي الله بهم بعد الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وفي هذه الأمة بعد نبينا محمد ﷺ وأصحابه الذين هم النجوم ﷻ التي لا تأفل ولا تغيب،

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم (٣٦٤١)، والترمذي في «جامعه» برقم (٢٦٨٢)، وابن ماجه في «سننه» برقم (٢٢٣)، وصححه الألباني في «المشكاة» برقم (٢١٢).

فأخبارهم بعد رسول الله ﷺ سائرة، وعلومهم ذائعة، وسيرهم منتشرة - والله الحمد-، فهؤلاء هم الذين يقع لكلامهم الأثر في نفوس الناس.

وموضوع الهداية يُقتدى بهؤلاء بعد رسول الله ﷺ فيه كما قال الله -جل وعلا- لنبية -عليه الصلاة والسلام-: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَيَهْدِيهِمْ أَقْتَدُ﴾ [الأنعام: ٩٠]، فإنما يهتدي من أراد الهداية بالمهتدين، والهداية فضلٌ من الله -تبارك وتعالى-، الهداية إلى الحق والثبات على الدين هذا فضلٌ من الله ﷻ، ورحمةٌ منه -جل وعلا- يختص به من شاء من عباده ممن هم أهل للهداية ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾ [النجم: ٣٠].

وقال في الذين لا يستحقون الهداية: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣]، وقال -جل وعلا-: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾ [النجم: ٣٠].

ولا شك أن الثبات على الحق من فضل الله ﷻ: ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩].

قال -جل وعلا-: ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ٦٨].

قال -جل وعلا-: ﴿وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢].

وقال ﷻ مُبَيِّنًا هذه الهداية إلى الحق والهدى وأنها مما اختص الله به ﷻ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ

أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

وقال -جل وعلا- لرسوله -عليه الصلاة والسلام-: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [٥٣]

صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣].

فهداية النبي هنا هي هداية الدلالة والإرشاد والبيان والدعوة إلى الله -جل وعلا-
بالطريق الصحيح: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهِ
وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فأتباع النبي ﷺ هم الذين يهدون الناس إلى الخير والهدى، ويهدونهم إلى الحق والرشاد في
كل زمانٍ مكان.

والحاصل: ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ [الأعراف: ١٨٦]، و﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ
يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

فإذا كان الأمر كذلك: فالهداية للحق والاستقامة على الحق والعمل بالحق من الله نعمة
وفضل، فينبغي للمؤمن أن يسلك أول سبيلٍ إليها، ألا وهو الدعاء؛ فإن أعظم الأسباب: الدعاء
أن يكثر العبد من دعائه ربه أن يهديه للحق، وأن يثبت عليه، وألا يزيغه بعد إذ هداه إليه:
أولاً: أن يهديه للحق.
وثانياً: أن يثبت عليه.

وثالثاً: ألا يزيغه بعد إذ هداه إليه، كما قال -جل وعلا- في دعاء عباده المؤمنين: ﴿رَبَّنَا لَا
تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

فالرحمة هي الهداية للحق، وبعد أن يهدوا إلى الحق يطلبون الثبات عليه، وألا يزيغ قلوبهم
بعد إذ هداهم إليه، فإن الدعاء أمره عظيم، الدعاء أمره عظيم، فلا يزال العبد يلح على ربه
-تبارك وتعالى- في أن يهديه دائماً في كل أموره إلى الحق والهدى في جميع شؤون حياته.

وقد كان من دعاء النبي ﷺ في قيام الليل الدعاء إلى هذا كما قال -عليه الصلاة والسلام-
في قيامه: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمِ الْغَيْبِ

وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ، فَإِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»^(١).

فالعبد يسأل الله - جل وعلا -، قال ﷺ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [٦٠: غافر].

وفي الحديث القدسي الصحيح يقول الله - جل وعلا -: «يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِيَكُمْ»^(٢)، ونحن جميعاً في صلاتنا - فرضاً ونفلاً - نُرَدُّ في الفاتحة بعد الحمد والثناء على الله - جل وعلا - قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [٦: الفاتحة] صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ [٧: الفاتحة].

وفي الدعاء - يا معاشر الأحبة -: إظهارٌ للفقر، وإظهارٌ للفاقة إلى الله - جل وعلا - وإظهارٌ لضعف الإنسان، وأنه لا يملك لنفسه شيئاً، وأن الأمر كله بيد الله - تبارك وتعالى -، ف﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَحْدِلَهُ وَلِيًّا مُرَشِدًا﴾ [١٧: الكهف].

فينبغي للإنسان أن يكثر من الدعاء لربه - تبارك وتعالى - الذي هداه أولاً فيحمده على ذلك، وثانياً: يسأله الثبات عليه كما قال - جل وعلا -: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، فهذا دعاء المؤمنين يحمدون الله على الهداية، وأنه لو لم يهدهم لم يهدهم أحدٌ من بعده كما قال - جل وعلا -: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

فينبغي للمؤمن ألا يغفل عن الدعاء، فإنَّ الدعاء سلاح المؤمن، ونور السماوات والأرض، وتفريج الكرب، وإزالة الهموم والخطوب، لأنَّ الله - جل وعلا - ما أوجبه على عباده المؤمنين

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (٧٧٠).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (٦٦٦٤).

وطلبه منهم لما فيه من إظهار افتقارهم وفاقتهم إليه، لأنه من أعظم العبادات كما قال النبي ﷺ:
«الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»^(١)، والله - جل وعلا - يقول - كما سمعتم في الآية التي تلونها قبل قليل -:
﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ
ذَٰخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، فالدعاء هو العبادة.

فعلى العبد أن يلزم الدعاء والتضرع إلى الله - جل وعلا - أولاً بالهداية، وثانياً: بأن يرزقه الله
- جل وعلا - حمده له على هدايته، وأن يُثَبِّتَهُ على الحق بعد إذ هداه إليه، ولا يضلّه ويحرفه عنه
ويزيغه؛ لأنه إن حصل ذلك هلك، فالقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء
ﷻ، ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩]، فنسأل الله - جل
وعلا - أن يرزقنا وإياكم ذلك.

وفي الدعاء ذكرٌ لله - جل وعلا - وعدم غفلةٍ عنه، ومن داوم على ذكر الله بالدعاء أجابه الله
ﷻ، فالله - سبحانه - يحب الإلحاح في الدعاء، يحب أن يرى العبد وهو يتملّقه ﷻ، ومعنى التملق
يعني الافتقار بين يديه، وإظهار الفاقة والرغبة إليه ﷻ، لأنّ هذا هو العبودية، بخلاف المتكبر
الذي قد أعرض عن الله - جل وعلا - في هذا الباب، فنسأل الله العافية والسلامة، فهذا سببٌ
مهمٌ - معاشر الإخوة - ينبغي ألا نغفل عنه وهو الإكثار من الدعاء، فإنّ هذا حال أهل الإيمان.
وكذلك الأمر الثاني أو الثالث: هو المداومة على الطاعات، وأولى ما يداوم عليه العبد
ويحافظ عليه ولا يُفَرِّطُ فيه: الفرائض والواجبات؛ لأنه ما تقرب العبد إلى الله بشيء أحب إليه
ﷻ مما افترضه عليه، وإذا زاد على ذلك ما زال في زيادةٍ في القرب إلى الله - تبارك وتعالى - حتى
يجبه.

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم (١٤٧٩)، والترمذي في «جامعه» برقم (٢٩٦٩)، وابن ماجه في «سننه» برقم (٣٨٢٨)، وصححه الألباني في «صحيح
أبي داود» برقم (١٣٢٩).

قال - جل وعلا- في الحديث القدسي الذي أخبر به النبي ﷺ عن ربه -تبارك وتعالى- أنه يقول: «وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ»^(١)، ففي هذا إثبات صفة المحبة لله -تبارك وتعالى- على الوجه اللائق به، لا يشبهه فيها أحد من خلقه ﷻ، فصفت الباري تختلف عن صفات المخلوقين، فهو -جل وعلا- إذا أحب العبد وفقه، وهداه، وكلاه بعنايته ورعايته وتوفيقه ﷻ وتسديده، فجعله موفقاً دائماً في جميع طرقه، فلا يمشي إلا إلى الخير، ولا ينظر إلا إلى الخير، ولا يسمع إلا للخير.

ولذلك قال -جل وعلا-: «فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِذَّنَّهُ»^(٢).

فالشاهد: المداومة على الفرائض والزيادة بالنوافل هذا جزاؤه، فمن أحبه الله ﷻ هنيئاً له ذلك، هذا الذي يشبهه -جل وعلا- ويحميه، ويحوطه، لأن النبي ﷺ يقول في هذا الحديث يقول الله -تبارك وتعالى- فهذا عن ربه -جل وعلا- يرويه أنه يفعل بعبد المؤمن هذا الذي سمعتموه، ما تقرب إليه العبد بشيء أحب من الفرائض، ثم بعد ذلك تأتي النوافل.

فالمداومة على الطاعة أمرٌ مهمٌ جداً يحفظ الله ﷻ به العبد، وهذه الطاعة تحجز الإنسان وتمنعه عن الشر، وأيضاً تُثَبِّت قلبه على الخير كما قال -جل وعلا-: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ ثَبَاتًا﴾ [النساء: ٦٦]، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ يعني ما يؤمرون به من الأوامر والنواهي، فالأوامر يفعلونها، والنواهي يكفون عنها، فإذا فعلوا ذلك مَنَّ الله ﷻ عليهم بالثبوت ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ في دنياهم وفي

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٦٥٠٢).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٦٥٠٢).

آخرهم، ويفسر ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَلَوْ اسْتَقْلَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً عَذَقًا ۖ لَنُفِتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٦-١٧].

فالواجب على العبد أن يحافظ على طاعة الله -تبارك وتعالى- لأنَّ فيها انشراح الصدر، وفيها تنوير القلوب، وفيها ذكر الله -جل وعلا-، وفيها إزالة الهموم والغموم، وفيها تفريج الكروب؛ لأنَّ فيها تصبير على طاعة الله ﷻ.

ولهذا كان الأولون يداومون على الطاعات إذا نزلت بهم الخطوب اقتداءً برسول الله ﷺ، فقد كان -عليه الصلاة والسلام- إذا فزعه أمرٌ قام إلى الصلاة^(١)، وإذا دهاه خطبٌ -صلوات الله وسلامه عليه- قام إلى الصلاة، وفزع إلى الصلاة، لماذا؟ لأنَّ في الصلاة قرة العين، فيها ذكر الله، والله -جل وعلا- يقول: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

فالمحافظة على الطاعات سببٌ للثبات على الحق، وسببٌ في الحياة هذه وفي الآخرة، كل ذلك بنعمة الله -تبارك وتعالى- علينا بهذه العبادات، كما قال -جل وعلا-: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

فمن عمل صالحاً الأعمال الصالحة رأسها الفرائض والنوافل بعد ذلك، النوافل لها أجرٌ عظيم، فالنوافل في الصلاة يُكَمَّلُ بها النقص في الصلاة يوم القيامة، والنوافل في الصيام يُكَمَّلُ بها النقص في -أيضاً- الصيام يوم القيامة في المفروض الصوم المفروض، هكذا بقية الطاعات تُرَجَّح الميزان كما قال النبي ﷺ كما في الأحاديث الكثيرة التي ذكرها -عليه الصلاة والسلام- في أحوال الوزن والميزان يوم القيامة.

(١) أخرج أبو داود في «سننه» برقم (١٣١٩) بلفظ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى»، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» برقم (١١٩٢).

ومن ذلك القيام بالمحافظة على الرواتب التي هي بعد الفرائض التي أكَّدها النبي ﷺ، فمثلاً «مَنْ صَلَّى لَهِ - جَل وَعَلَا - فِي يَوْمٍ ثِنْتِي عَشْرَةَ رَكْعَةً بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ» (١) هذه الاثنتا عشرة هي: ركعتا الفجر، وأربع قبل الظهر، واثنان بعدها، فهذه ثمان، واثنان بعد المغرب، واثنان بعد العشاء، فهذه ثنتا عشرة، فإذا حافظ عليها حفظه الله - جَل وَعَلَا -، واسمعوا إلى قوله ﷺ «بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ» فهذا كناية عن دخول الجنة، وأنه من أهل الجنة.

فالتطاعات يحفظ الله ﷻ بها العبد، هكذا الصيام النبي - عليه الصلاة والسلام - يقول: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ» (٢) يعني صيام السنة، لأنَّ السنة ثلاث مئة وستين يوم، والحسنة بعشر أمثالها، الثلاثون في عشرة بثلاث مئة، والستة الأيام في عشرة بستين، فهذه السنة، فكلما جاءت سنة وصام رمضان كأنما صام ثلاث مئة، وإذا أتبعه بست من شوال فكأنما صام ثلاث مئة وستين يومًا، فهو طول عمره ما دام يصوم منذ أن صار من أهل الصيام ما دام يصوم رمضان ويتبعه ستًّا من شوال فكأنه صائم طول السنة.

فانظروا إلى هذا الفضل العظيم مع العمل القليل اليسير، فضل كثير وجزاء كثير وفير على عملٍ صالحٍ يسير، وهذا من فضل الله - جَل وَعَلَا - علينا - معاشر الأحياء -.

وإذا اشتغل العبد بالطاعة ثبَّته الله - جَل وَعَلَا - على الهدى، ونور قلبه، فلا يجد الشيطان إليه سبيلاً، ولا يجد شياطين الإنس إليه سبيلاً، لأنَّ قلبه قد عمَّر بطاعة الله - تبارك وتعالى -، فحينئذٍ يثبته الله كما قال الله - جَل وَعَلَا - في الآية السابقة: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ۖ وَإِذَا لَأَتَيْنَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ۖ وَلَهْدَيْنَهُمْ صِرَاطًا

مُسْتَقِيمًا ۖ﴾ [النساء: ٦٦-٦٨].

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (٧٢٨).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (١١٦٤).

فنسأل الله -جل وعلا- أن يُثَبِّتَنَا وإِيَّاكُمْ، وأن يعينَنَا وإِيَّاكُمْ على ذكره، وشكره، وحُسنِ عبادته.

ومن الأسباب أيضًا في هذا الباب -أسباب الثبات على الدين والتمسك به وعدم الانحراف أيضًا-: قراءة القرآن؛ فإنَّ قراءة القرآن فيها الخير العظيم، وفيها قطع الطريق على شياطين الجن والإنس، نسأل الله العافية والسلامة.

المشركون لما قالوا للنبي ﷺ وأخبر الله عنهم بقولهم في سورة الفرقان حينما قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ ردَّ الله عليهم في هذا قال: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢].

فالقرآن قراءته فيها تثبيت للإنسان، وذلك لأنه يجد فيه الأوامر وجزاءها الحسن، ويجد فيه النواهي وعاقبتها السيئة إن هو ارتكبها سوء المغبة، نسأل الله العافية والسلامة، ويجد فيها أخبار الصالح الماضين السابقين وما لقوه عند الله -جل وعلا-، ويجد فيها أخبار الماضين السيئين المنحرفين وما لقوه من العذاب عند الله -جل وعلا-، فإذا مرَّ ذلك طمع في المرغوب، وبذل في سبيل الوصول إليه، وخاف من المرهوب، وبذل الأسباب والطرق التي تبعده عنه يسلكها حتى يتبعد عن هذه العواقب الوخيمة، نسأل الله العافية والسلامة، فحينئذٍ يثبته الله على الحق، ويبعده عن الردى.

وأيضًا مما يجده في القرآن: يجد فيه قصص السابقين، فإنَّ قراءة قصص السابقين يثبت الله ﷻ به -وسنأتي إليه-، فإنَّ النظر في القصص هذا أيضًا سبب من أسباب الثبات على الحق والهدى، النظر في قص الأمم السابقة والأنبياء مع أقوامهم والصالحين مع أممهم، وماذا أحل الله ﷻ من النكايه والعذاب والنكال بمن آذوا أهل الحق، وما أعد لهم في الآخرة من سوء المنقلب، وما يرونه من نعمة الله -جل وعلا- على أهل الخير والهدى والحق والرشاد من الأنبياء والصالحين

-صلوات الله وسلامه على أنبيائه ورسله- ورحم الله عباده المؤمنين، ما يجدونه في أخبار هؤلاء هذا يثبت الله ﷻ به على الدين، وأيضاً يجعلهم في قوة وصلابة، فإن أصحاب النبي ﷺ لما تعرضوا للمحن والفتن في أول الإسلام جاءوا يشتكون إليه وهو متوسدٌ برده متكئ ظهره إلى الكعبة إلى جدار الكعبة فدعوا فقالوا له: ادعوا الله لنا فقال لهم -عليه الصلاة والسلام-: «لقد كان يؤتى بالرجل في من كان قبلكم فيوضع المنشار في مفرق رأسه حتى يشق نصفين وهو صابرٌ ما يرده ذلك عن دينه» وأخبرهم قائلاً -عليه الصلاة والسلام-: «والله ليظهرنَّ الله هَذَا الدِّينَ» إلى أن قال: «وَلَكِنَّكُمْ قَوْمٌ تَسْتَعْجِلُونَ»^(١) ففي هذا ثبات، فقراءة أخبار الأمم السابقة مع أنبياء الله ورسله الذين بعثهم إليهم، وأخبار أيضاً الصالحين ممن كانوا قبلنا، هذا يزيدنا ثباتاً، ونعلم أننا حينئذٍ في طريقٍ قد صار فيه من قبلنا، وأن ما جاءنا لا يساوي شيئاً في قبيل ما جاءهم، فيزداد الإنسان صلابةً في دينه، وثباتاً على الحق، فحينئذٍ يكون من أسباب الثبات النظر في أخبار الماضين ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠] يقول الله -جل وعلا- لرسوله. فالقصص فيه تثبيت لأهل الإيمان حينما يرون ما وعد الله به صالحين، وما عجل لهم به من النصر، والإعزاز، والإظهار، ويرون ما أنزله الله بأعدائه المشركين، والفجرة، والكافرين، والمنافقين، والفاسقين، ما أنزله بهم من النكال، وصروف العذاب، والألم في الدنيا، وما أعد لهم في الآخرة، فإنَّ العبد يزداد يقيناً بفضل الله ﷻ عليه ويتجه إلى الله -جل وعلا- طالباً منه أن يثبته على الحق والهدى.

وأيضاً من الأسباب التي تعين العبد على الثبات على الدين: صحبة أهل الخير والاستقامة، فعلى العبد أن يصحب أهل الخير، فإذا صحب أهل الخير وفقه الله -جل وعلا-، والأدلة في هذا كثيرة، فالقرين إما أن يكون صالحاً، وإما أن طالحاً، فمن كان قرينه صالحاً نفعه الله -جل وعلا-

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٣٦١٢).

بهذا الصاحب، ومن كان طالحاً جاءه البلاء في الدنيا وفي الآخرة، ويوم القيامة يتبرأ كل منهم من الآخر، ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ [البقرة: ١٦٦-١٦٧].

ويقول القرين لقرينه يوم القيامة السيء مع السيء: ﴿يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَشْسُ الْقُرَيْنُ﴾ (٣٨) [الزخرف: ٣٨]، وقال عن الآخر: ﴿يَوَيْلَتِي لِيَتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ (٤٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٤٩﴾ [الفرقان: ٢٨-٢٩]، فنسأل الله العافية والسلامة.

فينبغي للإنسان أن يتبعد عن رفقة السوء، ويصحب أهل الخير، فهذان سببان وإن كانا في الظاهر مدحجين؛ لأن كل واحد منه ما إذا حصل اقتضى البعد عن الآخر، فمن لزم الاختيار ابتعد عن الأشرار، ومن لزم الأشرار ابتعد عن الأخيار، فنحن نقول من أسباب الهداية: البعد عن الأشرار، ومن أسباب الهداية: لزوم الأخيار.

وأيضاً منها: الانتقال من الشر ومكان الشر إلى مكان الخير، كما في قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً، وكَمَّلَ بالعابد الراهب الذي سأله: هل لي من توبة؟ قال: لا، فقتله، كَمَّلَ به المئة، ثم جاء إلى العالم، فسأله، قال: ومن يحول بينك وبين التوبة؟ ولكن اذهب إلى قرية كذا وكذا، فإن فيها أناساً صالحين يعبدون الله فاعبد الله معهم، أو كما قال -عليه الصلاة والسلام-، فخرج الرجل يريد تلك القرية، فلما كان في الطريق توفي، مات، فاخترصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، ملائكة الرحمة تقول: جاء تائباً، وملائكة العذاب يقولون: مات وهو على الطريقة السيئة، فبعث الله لهم ملكاً في صورة إنسان يحكم بينهم، فقال: قيسوا ما بين القريتين إلى

أيهما كان أقرب لحق بأهلها، فوجدوه أقرب إلى القرية الصالحة بشبر، قد نأى بصدده ذراعاً أو شبراً -نسيت الآن الحديث- (١).

فالشاهد: هذا دليل على أن المجتمع الخَيْر يعينك على الثبات على الحق وعلى طاعة الله -تبارك وتعالى-.

فالحاصل: ينبغي أيضاً لأهل الخير أن يتعدوا عن المجتمعات الكافرة، والمجتمعات الضالة، كما يتعدون عن أهل الشر، ويلزمون الخير، فكذاك يتعدون عن أماكن الشر، ويلزمون أماكن الخير، فالعبد عليه أن يفعل بالأسباب، والموفق هو الله -جل وعلا-، والتوفيق بيد الله -تبارك وتعالى-.

وأختم هذه الأسباب التي نسأل الله -جل وعلا- أن ينفعنا بها قبل سائر إخواننا كما نسأل أن ينفعهم أيضاً بها: الحرص أيضاً عن (٢) الأولاد في هذا الزمن؛ زمن الفتن، وزمن الانحرافات، وزمن الضلالات الفكرية العقدية، وأيضاً الانحرافات الأخلاقية السلوكية في بلاد الإسلام وفي غير بلاد الإسلام، ولكن في غير بلاد الإسلام أكثر وأكثر، لأن السبل إليها متيسرة، والطرق لها مفتوحة، والحكومات الكافرة تُشجّع عليها، وتدعو إليها، وتحارب من ينكرها، فمثلاً أمكنة الخمور مفتوحة، ودور البغي مفتوحة، والانحرافات الأخلاقية حدثت ولا حرج، وهكذا الشذوذ حدث ولا حرج، يُقَنَّ ويُقَرَّ، وقبل ذلك كله: الكفر بالله -جل وعلا- الذي هو أعظم ذنب عَصِيَ الله به في أرضه ﷻ، فلا أحد أصبر من الله -تبارك وتعالى-؛ يُغذِّينا بالنعم، ونحن نبارزه بالمعاصي، نسأل الله -جل وعلا- أن يلطف بنا، وأن يسترنا وإياكم بستره الجميل في الدنيا والآخرة.

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٣٤٧٠)، ومسلم في «صحيحه» برقم (٢٧٦٦).

(٢) هكذا قالها الشيخ، ولعلها سبق لسان، فتكون: على، والله أعلم.

فالله الله في الحرص على الأولاد، واللفظ معهم، والرفق بهم، وتأصيل مقاصد الشرع

الإسلامي الحنيف في قلوبهم، وتعليمهم العلوم الشرعية الدينية النافعة، وترغيبهم في القراءة للقرآن، والحديث النبوي، وإعطائهم من قصص الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام- وأخبار وسير الصالحين السابقين في أمة الرسول ﷺ وفي الأمم السابقة مما قصّه الله -جل وعلا- كأصحاب الكهف مثلاً، وهكذا، فينفع الله ﷻ بهذه التربية، ويثبتهم بإذنه -تبارك وتعالى- لأنّ الناشئة في بلاد الغرب خاصة مستهدفون، الغرب يريدونهم، الكفرة يريدونهم ليضلّوهم، ويحرفوهم، ويسلّخوهم من دينهم، فيأخذونهم تارات من بين أيدي والديهم بأدنى سبب كما يقولون (العنف الأسري والتعنيف الأسري) ونحو ذلك، وكذبوا والله، إنما يريدون أخذ هؤلاء ذكوراً وإناثاً ليطرحوهم بعد ذلك بين أيديهم، يعجنونهم، ويشكّلونهم كيف شاءوا.

فالله الله -معاشر الأحبة- في الحرص على الأولاد ذكوراً وإناثاً، والنساء أكثر، البنات أكثر عليكم بحثّهم على الحشمة وعلى آداب الإسلام، وعلى أخلاق الإسلام، وعلى التستر، وعلى البعد عن مجتمعات الكفار، وإن احتاجوا ففي الضرورات أضيق ما يكون مما يحتاجون. وأنتم كذلك تحرصون على أزواجكم، فإنّ النساء ودائع عندنا -معاشر الأحبة-، أسأل الله ﷻ أن يعيننا وإياكم على أداء هذه الودائع، وهكذا الأولاد، لكن النساء أكثر؛ لأنهن عارٌّ على الإنسان، وهنّ عرضه.

نسأل الله -جل وعلا- أن يعيننا وإياكم على أنفسنا، وعلى القيام على أولادنا، وأهلينا، وأزواجنا، وذرائعنا، إنه جواد كريم.

كما نسأله ﷻ أن يثبتنا وإياكم على الحق والهدى بمنه وفضله، ف ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ

وَمَنْ يَضِلَّ فَلَنْ يُجِدَ لَهُ وَلِيًّا مَرشِداً﴾ [الكهف: ١٧]، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ

لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسانٍ
إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين».

مُقدِّم الكلمة: [جزاكم الله خيراً على هذه الكلمة الطيبة، ونسأل الله تعالى أن يجعل ذلك في
ميزان حسناتكم، وأن ينفع بها المسلمين في فرنسا وفي غيرها، وكثيراً من الإخوة هنا يا شيخ
يقرؤونكم السلام، ويحبونكم في الله، فنسأل الله تعالى أن يجمعنا بكم في دار كرامته، وأن يجعلنا
مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، وبارك الله فيكم، وحفظكم
الله].

الشيخ: «واياكم، وعليك وعليهم السلام ورحمة الله وبركاته، ونسأل الله لنا ولهم التوفيق
والثبات بمنه - جل وعلا - وكرمه، إنه جوادٌ كريم»^(١).

اعْتِنَاءُ

أَبِي قُصَيِّ الْمَدَنِيِّ

- عَفَا اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ وَالِدَيْهِ وَمَشَايِخِهِ وَالْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ -

فِي التَّاسِعِ مِنْ شَهْرِ شَعْبَانَ عَامِ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ وَأَلْفٍ مِنَ الْهِجْرَةِ

(١) تمت الكلمة، فما كان من صواب فمن الله وحده، وما كان من خطأ، أو سهو، أو نسيان، أو غفلة؛ فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله العظيم، والحمد لله
الذي بنعمته تتم الصالحات.